

# ويبقى الأمل في سنة الأخذ والاستئصال

كتبه محمد حسن | 11 أغسطس، 2014



بينما تطالع أشلاء الأطفال الممزقة في سوريا من البراميل المتفجرة، وأجسادهم المتفحمة في سيناء من ضربات الطيران الحربي لجيش كامب ديفيد، ورقابهم المفصولة عن أجسادهم في غزة من القصف الصهيوني للقطاع.

وعندما تسمع عن مسخ بشري يغتصب طالبة ضعيفة منكسرة مظلومة بجامعة الأزهر أربعة عشر مرة وفي نهاية المشهد العبثي الأليم يستنكر عليها أنها ليست عذراء لأنها أصلاً متزوجة!

وعندما تشاهد حيوان بهيكل بشري يعذب أيتام مساكين لاحول لهم ولاقوة في دار للأيتام بالهرم بوحشية مفرطة في مشهد مؤلم تتقيأ منه النفس السوية.

يتبادر في ذهنك بعد هذه المشاهد ومثيلاتها سؤال أزي: أين الله مما يحدث بأطفالنا ونسائنا وأمتنا؟ وإلى متى سنبقى هكذا تُنهش أعضاؤنا وتُسفك دماؤنا وتُنتهك حرماننا؟

لماذا لا يخسف الله الأرض بالصهاينة المجرمين وعملائهم الخونة من العرب المتصهينين والسفاحين والطغاة كبشار الأسد والسيسي وغيرهم من الظالمين الفجرة؟!

وتقرأ قول الله العزيز الجبار {وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم} البقرة: 49، وتقول ما الحكمة الربانية في ترك

فرعون يسقي الناس ألوان العذاب ويقتل الأطفال ويذبح أبنائهم وينتهك النساء وأعراضهن ثم ينجيهم منه بعد كل ذلك؟! لماذا يتأخر المدد الإلهي حتى هذا الحد من العذاب الجسدي والنفسي للفئة المظلومة .. لماذا؟!!

اقرأ معي قول الله - سبحانه وتعالى - {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} يرتاح ضميرك وتقول متى يارب؟ متى يارب تأخذ هذه القرية؟!!

قرية المسوخ البشرية والزوميين الذين أكلوا وشربوا واستمتعوا في الدماء وسفكها والأعراض وانتهاكها والحريات وتقييدها والأطفال ويتمها بل وقتلها وتعذيبها والنساء الأرامل الثكالي وضعفهم واستلذوا للذل وخضعوا للعبودية وعشقوا الإهانة وشربوا النعوجية والخنوع.

ومع توافر أقصى درجات الظلم والطغيان من القرية الباغية وأهلها ووصولها إلى الحد الأقصى من أسباب العذاب وأعراض الهلاك وحتمية الأخذ وصور الاستئصال فاقرأ معي كلام نفيس للدكتور "منقذ بن محمود السقار" عن أسباب وقوع عقاب الله وعذابه للأمم وصور هذا العذاب وأنواعه.

أسباب وقوع العذاب على الأمم:

(1) الظلم والطغيان:

وأي ظلم وطغيان أشد من قتل الناس وسفك الدماء وانتهاك الحرمات واعتقال الفتيات وسجن الحريات وإزهاق الأرواح وسرقة الأوطان والأعمار.

{وَتِلْكَ الْقَرْىُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} الكهف: 59.

{وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} هود: 102.

{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ} الأنبياء: 11.

{فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْتَلَّةً وَقَصِرَ مَشِيدُ} الحج: 45.

قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)) [أبو داود ح 4338، الترمذي ح 2168، أحمد ح 30].

(2) انتشار المنكرات وغياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وما أكثر المنكرات في بلاد الشعوب المتدينة بطبعها!

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} الإسراء: 17.

قال القرطبي في تفسيرها: "ألا يعتبرون بمن أهلكنا من الأمم قبلهم لتكذيبهم أنبياءهم" [تفسير

قال الطبري: “وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونًا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به وتكذيب رسله على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه، فيعذب قومًا بما لا يعذب به آخرين أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين” [تفسير الطبري 15/57].

قال ابن تيمية: “وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبهه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان” [العقود الدرية 1/137].

قال القرطبي: “وهذه سنة الله في عباده إذا فشا المنكر ولم يغير عوقب الجميع” [تفسير القرطبي 1/401].

(3) العتو والكبر والغرور وكفران النعم.

الأمّة العاتية المغرورة المستكبرة المتجبرة بقوتها وسطوتها وسلاحها أمة تعرضت لعقوبة الله ونازعت الله ما يستحقه من الكبرياء والعظمة ... قال تعالى {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ} النجم: 50-52.

قال الطبري: “يقول تعالى ذكره: وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشد ظلماً لأنفسهم وأعظم كفرًا بربهم وأشد طغيانًا وتمردًا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانًا من غيرهم من الأمم” [تفسير الطبري 27/78].

{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوةً وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} الروم: 9.

ولعلك تجد معي أن الله ابتلى الأمم الغابرة الظالمة بأصناف العذاب البالغة، وهذا العذاب على ضريين:

أولهما:

عذاب الاستئصال، وهو الذي يودي بجميع الأمة فلا يبقى منها ولا يذر، كما حصل مع قوم نوح عاد وثمود.

والثاني:

هو ذلكم العذاب الشديد الذي يصيب الأمة ويلزله كالطواعين والظوفان والكوارث من خسف

ومسخ، وقد عذب الله به فرعون وبني إسرائيل، وهذا النوع من العذاب لا يؤدي إلى فناء الأمة المعذبة برمتها.

وقد ذهب أهل العلم إلى أن النوع الأول قد رفعه الله عن البشرية ببالح رحمته، ولو عذبهم به كان عادلاً جل وعلا: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر:45]، ولم يرفع من هذا العذاب أصل جنسه، إذ من الممكن أن يسلط الله الريح أو الحاصب على أمة من الأمم من غير أن يستأصلهم به.

قال الحافظ المقدسي: “وتأمل حكمته تعالى في عذاب الأمم السالفة بعذاب الاستئصال لما كانوا أطول أعمارًا وأعظم قوى وأعتى على الله وعلى رسوله، فلما تقاصرت الأعمار وضعفت القوى رفع عذاب الاستئصال، وجعل عذابهم بأيدي المؤمنين، فكانت الحكمة في كل واحد من الأمرين ما اقتضته في وقته” [مفتاح دار السعادة 1/255].

ويبين شيخ الإسلام أن الاستئصال إنما رفع برسالة موسى عليه السلام فيقول: “وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسول بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلاً، يهلك الله به جميع المكذبين كما أهلك قوم نوح وكما أهلك عادًا وشمود وأهل مدين وقوم لوط وكما أهلك قوم فرعون،.... إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال، بل قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى} [القصص:43]، بل كان بنو إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم، ويبقى بعضهم، إذ كانوا لم يتفوقوا على الكفر، ولهذا لم يزل في الأرض أمة من بني إسرائيل باقية” [الجواب الصحيح 6/442].

ويقول - رحمه الله - مبيّنًا الصورة الجديدة التي أرادها الله لردع أعدائه، ألا وهي الجهاد لهؤلاء الكفار ومراغمتهم حتى لا تبقى فتنة ويكون الدين لله: “المعروف عند أهل العلم أنه بعد نزول التوراة لم يهلك الله مكذبي الأمم بعذاب من السماء يعمهم كما أهلك قوم نوح وعاد وشمود وقوم لوط وفرعون وغيرهم، بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار كما أمر بني إسرائيل على لسان موسى بقتال الجبابرة” [الجواب الصحيح 2/251].

قال شيخ الإسلام: “وكان من حكمته ورحمته سبحانه وتعالى لما أرسل محمدًا أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال كما أهلك الأمم قبلهم، بل عذب بعضهم بأنواع العذاب كما عذب طوائف ممن كذبه بأنواع من العذاب” [الجواب الصحيح 6/443].

ولما بعث رسول الله كان رحمة للبشرية جمعاء كما في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:107]. قال ابن عباس: “كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق” [القرطي 11/350].

ومن صور العذاب الكثيرة:

## 1. الغرق والطوفان:

وهو أول عذاب استئصال عذب الله به الكافرين من قوم نوح {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت: 14].

{مَّمَّا حَطَّيْتَهُمْ أُغْرُقُوا} [نوح: 25]، قال ابن كثير: “من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم أغرقوا فأدخلوا نارًا” [تفسير ابن كثير 8/263].

ثم عذب الله فرعون وجنوده بالغرق في اليم {فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} [الأعراف: 136]، {فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنبياء: 77].

كما عذب بالسيل والطوفان مملكة سبأ {فَأَغْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: 16-17].

وهدد الله الآمنين من مكره بعذاب الغرق فقال: {أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} [الإسراء: 69].

## 2. الريح:

وهو عذاب الله عذب به قوم عاد لما كفروا بربهم.

{وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة: 6]، ويقول: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا} [فصلت: 16].

{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أُوْدِيِّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأحقاف: 24].

وقد كان نبينا إذا رأى ريحًا خاف وظهر ذلك في وجهه، وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله كان إذا عصفت الريح يقول: ((اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)) [مسلم ح 889].

تقول عائشة رضي الله عنها: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا وجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيتَه عرفت في وجهك الكراهية؟ فقال: ((يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، ورأى قوم العذاب فقالوا: {هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا})) [البخاري ح 4829، مسلم ح 889].

## 3. الصيحة:

والصيحة هي كما قال القرطبي في تفسيرها: “صيح بهم فماتوا، وقيل صاح بهم جبريل، وقيل

غيره، وقال أيضًا: كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم ” [تفسير القرطبي 7/42، 9/61].

وهي عذاب الله الذي عذب به قوم صالح {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ} [هود: 67]، وقال: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَّةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ} [القمر: 31].

ويهدد الله المشركين بمثل هذا العذاب فيقول: {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَّةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} [ص: 15].

#### 4. الحاصب:

والحاصب كما قال أبو عبيدة: الحجارة وقال ابن حجر: الحصباء في الريح. [انظر تفسير القرطبي 17/143، فتح الباري 8/391].

وهو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط لما كفروا وارتكبوا الموبقات فقال: {فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا} [العنكبوت: 40] وقال: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسِحْرِ} [القمر: 34].

وهو قوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ} [هود: 82، 83].

ونقل القرطبي في تفسيره {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ} [هود: 83]. عن مجاهد أنه قال: ما الحجارة من ظالي قومك يا محمد ببعيد.

وقال قتادة وعكرمة: يعني ظالي هذه الأمة، والله ما أجار الله منها ظالمًا بعد. [تفسير القرطبي 9/83].

وهو العذاب الذي عذب الله به أصحاب الفيل {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ \* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ \* تَزْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ} [الفيل: 1-4].

ومن جنسه الحد الذي جعله الله عقوبة للزاني المحسن، وهو الرجم.

والحاصب هو العذاب الذي حذر الله قريشًا به فقال: {أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ} [الملك: 17].

وقال: {أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الإسراء: 68].

#### 5. الخسف:

والخسف هو كما عرفه القرطبي هو “الذهاب في الأرض” [تفسير القرطبي 13/318] وهو ذهاب المكان ومن عليه وغيوبته في بطن الأرض.

وهو عذاب الله لقارون لما بغى وأفسد فقال: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ

يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ} [القصص: 81]، {وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ} [العنكبوت: 40].

وهو أحد أنواع العذاب التي تكون في آخر الزمان كما في حديث عمران بن حصين حيث سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((في هذه الأمة خسف ومسح وقذف، إذا ظهرت القينات والمعازف، وشرب الخمر)) [الترمذي ح 2138 ونحوه في أبي داود].

وقد حذر الله العصاة من هذا العذاب {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسَفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل: 45]، وقال: {إِنْ نَشَأْ نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسَقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} [سبأ: 9].

ومن صور الخسف الزلازل التي تميد بالأرض فتخرب المدن بعد عمارها، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم أن الزلازل تكثر بين يدي الساعة قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى تقتل.... وتكثر الزلازل)) [البخاري ح 7121].

قال ابن حجر: “وقد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها” [فتح الباري 13/87].

## 6. الجوع والعطش وضيق الأرزاق:

وهو ما عذب به قوم سبأ حيث قال: {وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا فَرِيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: 112]، وقال أيضا: {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِیْ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: 16، 17].

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [العنكبوت: 41].

قال ابن كثير: “بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي ليزيقهم بعض الذي عملوا”، وقال: “يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختبارًا منه على صنيعهم {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي عن المعاصي” [تفسير ابن كثير 6/327].

وقال صلى الله عليه وسلم محذرًا من وقوع بعض هذا البلاء: ((يا معشر المهاجرين .. خمس إذا ابتليتكم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن .. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا)) [ابن ماجه ح 4019، والحاكم (4/540) ووافقه الذهبي على تصحيحه].

## 7. الخوف والفرقة وتسليط الأعداء والذل وكثرة القتل والحروب:

وهذا النوع من العذاب عذب الله به بني إسرائيل فجعلهم فرقة كثيرة وأضاف إلى ذلك الهوان

والذلة إلى يوم القيامة {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَشُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} [الأعراف: 167].

وقد صدق الله فكانوا أذل الأمم وأرذلها، وما نراه اليوم من عز وسؤدد فإنما هو بسبب تخاذل المسلمين عن قتالهم، ومصانعة النصارى لهم بحجة أنهم الشعب المبارك، وذلك قوله تعالى: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحِجْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحِجْلٍ مِّنَ النَّاسِ} [الأعراف: 112].

ومنه قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: 65].

وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن:....، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)) [ابن ماجه ح 4019، والحاكم (4/540) ووافقه الذهبي على تصحيحه].

## 8. المسخ:

وهو كما عرفه المباركفوري التغير في الصورة [تحفة الأحوزي 3/151].

وقد عذب الله بني إسرائيل عندما اعتدوا في السبت {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [البقرة: 65]. وقال: {وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ} [المائدة: 60].

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا العذاب يكون في هذه الأمة، ووصف ذنب أولئك المسوخين والذي بسببه يمسخهم الله، فقال صلى الله عليه وسلم: ((يكون في هذه الأمة أو في أمي خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر)) [الترمذي ح 2152، ابن ماجه 4061].

وعن عمران بن حصين مرفوعاً: ((في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف فقال رجل: يا رسول الله، ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر)) [الترمذي ح 2138 ونحوه في أبي داود].

وعن ابن حبان: ((لا تقوم الساعة حتى يكون في أمي خسف ومسخ)) [صحيح ابن حبان ح 1890 بإسناد حسن].

قال ابن تيمية: "المسخ واقع في هذه الأمة ولا بد، وهو واقع في طائفتين: علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين قبلوا دينه، والمجاهرين المنهمكين في شرب الخمر والمحارم..."

وقال: "إنما يكون الخسف والمسخ إذا استحلوا هذه المحرمات بتأويل فاسد فإنهم لو يستحلوها مع اعتقاد أن الشارع حرمها كفروا ولم يكونوا من أمته، ولو كانوا معترفين بحرماتها لما عقبوا بالمسوخ كسائر من يفعل هذه المعاصي، مع اعترافهم بأنها معصية".

## 9. الأمراض والبلايا والطواعين:

وهو نوع آخر من العذاب يصبه الله على الأمم المتجبرة الكافرة أو المسلمة العاصية، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم)) [البخاري ح 3214، مسلم ح 4108].

وقد توعد الله فيه عصاة الأمم فيما جعل الطاعون رحمة وشهادة لهذه الأمة قال صلى الله عليه وسلم: ((لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)) [ابن ماجه ح 4019، والحاكم (4/540) ووافقه الذهبي على تصحيحه].

قال القرطبي: "الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم بالإصرار على الكفر، فإن أصروا حان الأجل المضروب ونزلت بهم النعمة". [تفسير القرطبي 9/292].

وأخيرًا ألم بأن للقرية الظالم أهلها أن ترجع وتعود قبل أن تستفيق على عذاب من الله باستئصالها وهلاكها وأخذها بظلمها وجبروتها في يوم لا ينفع فيه ندم ولا يقبل منها رجوع وعودة.

### المصادر:

- تفسير القرطبي والتفسير الكبير وتفسير السعدي.
- الاعتبار بمصارع الأمم للدكتور منقذ بن محمود السقار (الملف العلمي).
- أسباب هلاك الأمم السابقة للدكتور/ محمد راتب الأندلسي.
- سنن الله في عقاب الأمم: موقع الشيخ / حامد العلى بقلم شروق الشمس.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/3405/>